وكان من الطبيعي ان يفكر « ابو يوسف » ورفاقه بتشكيل نواة عمل فلسطيني ، الا ان هذا لم يرق « للاخوان المسلمين » ، ففصلوه بعد ان اشتغل « فلسطينيا » .

ومنذ عام ١٩٦٧ تفرغ كليا للنضال في حركة « فتح » ، لقد أصبحت الحركة تحتاج الى تفرغ القادة والمخلصين من ابنائها ، وبقي حتى استشهاده في ليلة فردان ، ليلة ٩ — ١٠ نيسان ١٩٧٣ ، بقي كما كان منذ بداية انتمائه للحركة ، مناضلا مؤمنا ، لا تزعزع ارادته تقلبات الاحداث .

من مميزات « ابي يوسف » انه لم يجعل من النظريات الثورية ، والسياسية عامة ، هاجسا من هواجس حياته . لم يكن يهمه ابدا ان يلقب بالمفكر المبدع ، او صاحب النظريات العبقرية . كان همه الاوحد استمرارية النضال ، وتجميع كل القوى على طريق النضال .

ان سيرة حياته ، نضاله ، علاقاته مع الرسميين من الملوك والرؤساء والمسؤولين العرب ، علاقاته مع العناصر والافراد من المقاتلين ، كلها تشهد بأنه كان من القادة القلائل الذين اتقنوا المعادلة الثورية الصعبة ، ما بين الفكر والممارسة .

واما عن محاولات اغتياله ، فلم تكن محاولة فردان هي الوحيدة . لقد تعرض « ابو يوسف » لاكثر من محاولة اغتيال . وقد كان من المفروض ان تكون احدى هذه المحاولات في اليوم الذي تمت فيه هذه المقابلة ، الا انه كان قد اكتشف خبرها مقدما ، فأرسل كمينا للمجرمين بالقرب من فندق الريفييرا ،تمكن من القبض على المجرمين بالحيلة . وقد نشرت الصحف في اليوم التالي نبأ هذه المحاولة الفاشلة . وان تدلنا هذه الحادثة على شيء ، فتدلنا على رباطة جأش المناضل والمسؤول . كان بامكانه الغاء موعد المقابلة مثلا او تأجيله ، ولكنه لم يفعل ذلك ، ولم يحدثني على الاطلاق عما يجري قرب الريفييرا في تلك الساعة ، الا عندما سألته عن تعرضه خلال حياته للاعتداء او الاغتيال .

الا ان المحاولة التي لا يمكنه ان يتحدث عنها لاي انسان ، فهي محاولة فردان . هذه المحاولة الآثمة قد نجحت . اضافت الى سجل شهدائنا شهيدا وشهيدة . رحلت عنا « ام يوسف » ، ورحل « ابو يوسف » ، ولكن هذا القائد الحديدي الاعصاب والارادة لم يترك وراءه فراغا كما يعتقد البعض . لقد ترك « ابو يوسف » لامته العربية التي آمن بها ثلاثة اشياء :

— ترك لها سيرة حياته ، وهي نموذج للانسان العربي الفلسطيني المناضل بايمان وارادة جبارة ، وكأنها ارادة شعب بأسره ، لا ارادة فرد واحد .

— ترك لها آثارا فكرية ، من تصريحات ومقابلات ومحاضرات وندوات في المخيمات . ان هذه الاثار وان تكون محدودة بالنسبة الى قائد كأبي يوسف ، الا أنها كافية — كما أتصور — لانصاف هذا الرجل الذي كانت قيمة فكره السياسي اعمق بكثير مما يتصور البعض .

— ترك لها أعمالا سياسية جبارة ، كان لها الاثر الفعال في تطوير حركة المقاومة الفلسطينية ، انما لن يقدر لهذه الاعمال ان يكتب عنها ، الا بعد مرور الزمن الطويل ، وذلك لعلاقتها بالاحياء من ابناء الثورة ، كما لعلاقتها بحياة هذه الثورة .

مسؤولياته السياسية

من ايجابيات ثورتنا انها بطبيعة نشأتها وتكوينها ومسيرتها قد قضت على الالقاب والمناصب ، كما قضت على الحواجز ما بين القادة والافراد المقاتلين . لذلك فنحن هنا نسجل المواقع الثورية التي احتلها « ابو يوسف » ، ونسجلها بالطبع كمسؤوليات ، لا كألقاب .